الشيخ كاشف الغطاء - مواقفه الإسلامية و الوطنية

المدرس الدكتور
جواد كاظم شايب الجنابي
جامعة القادسية / كلية الآداب

الشيخ كاشف الغطاء - مواقفه الإسلامية و الوطنية

المدرس الدكتور
جواد كاظم شايب الجنابي
جامعة القادسية / كلية الآداب

المقدمة:

لم يبق ذو حس وشعور في شرق الأرض وغربها، إلا وقد أحس وشعر بضرورة الاتحاد والاتفاق، ومضرة الفرقة والاختلاف، حتى أصبح هذا الحس والشعور أمرا وجدانيا محسوسا يحس به كل فرد من المسلمين، كما يحس بعوارضه الشخصية من صحته وسقمه، وجوعه وعطشه، وذلك بفضل الجهود التي قام بها جملة من أفذاذ الرجال المصلحين في هذه العصور الأخيرة، الذين أهابوا بالمجتمع الإسلامي، وصرخوا فيه صرخة المعلم الماهر، وشوقوها إلى استعمال الدواء لقطع مادة ذلك الداء الخبيث، والعلل والأمراض المهلكة، قبل أن تقضي على هذا الجسد الحي، فيدخل في خبر كان، ويعود كأمس الدابر.

صرخ المصلحون فسمع المسلمون كلهم عظيم صرخاتهم بأن داء المسلمين تفرقهم وتضارب بعضهم ببعض، ودواؤهم، الذي لا يصلح آخرهم إلا به كما لا يصلح إلا عليه أو لهم ألا وهو الاتفاق والوحدة، ومؤازرة بعضهم لبعض، ونبذ التشاحن، وطرح بواعث البغضاء والأحقاد تحت أقدامهم، ولم يزل السعي لهذا المقصد السامي، والغرض الشريف إلى اليوم دأب رجالات أنار الله بصائرهم، وشحذ عزائمهم، وأشعل جذوة الإخلاص لصالح هذه الأمة من وراء شغاف أفئدتهم، فما انفكوا يدعون إلى تلك الوحدة المقدسة "وحدة أبناء التوحيد" وانضمام جميع المسلمين تحت راية **"لا إله إلا الله محمد رسول الله"** من غير فرق بين عناصرهم، ولا بين مذاهبهم، وكان من ابرز من دعا إلى هذه الجامعة السامية، والعروة الوثقى، آية الله العظمى الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء (قدس).

المبحث الأول

حياة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

إسمه:

محمد حسين بن الشيخ علي بن محمد رضا بن موسى بن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر بن الشيخ خضر، وكان الشيخ خضر قد خلف أربعة من الأبناء، أشهرهم

العلامة، الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء، وإذا كان والده الشيخ خضر قد وضع أساس هذه الأسرة في صفوة علوم أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، فإن الشيخ جعفر (رحمه الله) قد أشاد لعائلته صرحا شامخا، حتى طغى اسم أشهر مؤلفاته، وهو كشف الغطاء، على أسرته وأحفاده، فأسموا بآل كاشف الغطاء.

مشايخه وأساتذته:

أخذ الشيخ كاشف الغطاء (قدس) على جملة من علماء وأساتذة وفضلاء عصره، كل وفق منهجه في التدريس، ومنهم:

١. الشيخ محمد كاظم الهروي الخراساني ، صاحب كتاب الكفاية في أصول الفقه، حضر عنده بحث الخارج في درس الكفاية ست دورات.
٢. السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي ، حضر عنده مجلس درسه منذ عام (١٣١٢ ـ ١٣٣٧ هـ) حيث وافت السيد فيها المنية.
٣. الشيخ محمد رضا الهمداني، صاحب كتاب مصباح الفقيه، كان من حضار درسه لمدة عشر سنوات.
٤. الميرزا محمد تقي الشيرازي ، درس عنده لمدة سنتين.
٥. الشيخ محمد باقر الاصطهباناتي ، وكان الشيخ قد حضر عنده دروس الحكمة والكلام.
٦. الشيخ أحمد الشيرازي.
٧. الشيخ محمد رضا النجفي آبادي.

مؤلفاته:

سنحاول من خلال هذه الأسطر استعراض ما أمكننا حصره من مؤلفات الشيخ كاشف الغطاء، بأبوابها وعلومها المختلفة، المطبوعة منها والمخطوطة، دون إسهاب أو تفصيل:

١. في الحكمة والكلام :

أ. الدين والإسلام: (أربعة أجزاء، طبع منها جزءان).
ب. المراجعات الريحانية (جزءان).
ت. أصل الشيعة وأصولها (وهو الكتاب المعتمد لدى الشيعة في الفرق).
ث. الفردوس الأعلى.
ج. الآيات البينات.
ح. جنة المأوى.
خ. التوضيح (جزءان).

د. مبادئ الإيمان في الدروس الدينية.
ذ. نبذة من السياسة الحسينية.
ر. حاشية على كتاب الأسفار لملا صدر الدين(مخطوط).
ز. حاشية على العرشية
س. حاشية على رسالة الوجود لصدر المتألهين.

٢. في السياسة والموعظة :

أ. المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون
ب. المحاورة بين سفيرين.
ت. الميثاق العربي الوطني.
ث. خطبة الاتحاد والاقتصاد في الكوفة.
ج. الخطبة التأريخية في القدس.
ح. الخطب الأربع.
خ. خطبته في باكستان.

٣. في الفقه وأصوله:

أ. حاشية على كتاب التبصرة للعلامة الحلي.
ب. المسائل القندهارية (فارسي ترجم إلى العربية) وألحق بكتاب الفردوس الأعلى
ت. سؤال وجواب.
ث. وجيزة الأحكام.
ج. زاد المقلدين (فارسي).
ح. الأرض والتربة الحسينية.
خ. حاشية على سفينة النجاة لأخيه الشيخ الفقيه أحمد كاشف الغطاء.
د. حاشية على كتاب العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي.
ذ. مناسك الحج (عربي وفارسي).
ر. تحرير المجلة (خمسة أجزاء، فقه مقارن).
ز. حاشية على مجمع الرسائل (فارسي مطبوع مع حواشي السيد البروجردي).
س. شرح العروة الوثقى (خمسة مجلدات، مخطوط).
ش. تنقيح الأصول (مخطوط).
ص. رسالة في الجمع بين الأحكام الظاهرية والواقعية (مخطوط).
ض. حاشية على مكاسب الشيخ مرتضى الأنصاري (مخطوط).
ط. حاشية على القوانين (مخطوط).
ظ. مجموعة الفتاوى (مخطوط).

ع. حاشية على الكفاية للآخوند الخراساني (مخطوط).
غ. رسالة في الاجتهاد والتقليد (مخطوط).
ف. حاشية على رسائل الشيخ الأنصاري (مخطوط).

٤. في الأدب والتفسير وغيرهما (وأكثرها لا زال مخطوطا):

أ. مغني الغواني عن الأغاني (مختصر كتاب الأغاني).
ب. نزهة السمر ونهزة السفر (عن رحلته الأولى إلى سوريا ومصر).
ت. ديوان شعره الذي أسماه: الشعر الحسن من شعر الحسين.
ث. تعليقات على أمالي السيد المرتضى.
ج. تعليقات على كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة.
ح. مجموعتان من المنتخبات الشعرية.
خ. منتخبات من الشعر القديم.
د. عقود حياتي (ترجمة حياة المؤلف بقلمه).
ذ. صحائف الأبرار في وظائف الأسحار.
ر. جنة المأوى.
ز. رسالة عن الاجتهاد عند الشيعة.
س. تعليقات على كتاب الوجيز في تفسير القرآن العزيز.
ش. تعليقات على نهج البلاغة، ونقود على بعض شروحات الشيخ محمد عبده له.
ص. تعليق على كتاب الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين.
ض. تعريب كتاب فارسي هيئة.
ط. تعريب كتاب حجة الشهادة.
ظ. تعريب وتلخيص رحلة ناصر خسرو المشهورة.
ع. كتاب في استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام).
غ. العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، في تأريخ عائلة آل كاشف الغطاء، وعلماء النجف، وتأريخها الحديث.

هذا عدا ما كان ينشره في الصحف والمجلات من المقالات والمباحث المختلفة التي يصعب حصرها.

رحلاته ونشاطاته:

ومن السمات المميزة لحياة الشيخ كاشف الغطاء (قدس) رحلاته المتعددة واستثمارها، ونشاطاته المتنوعة، في الدعوة إلى وحدة الكلمة بين المذاهب الإسلامية عموما من خلال النقاش الموضوعي، فعندما طبع الجزء الأول من كتابه "الدين والإسلام" وهم بأن يطبع الثاني إذا بالسلطة تأمر بمهاجمته ومنعه من الطبع، فسافر

إلى الحج، ومنه إلى الشام فبيروت وطبع الجزءين بصيدا، واتصل بكبار العلماء ورجالات الفكر وجرت عدة محاورات ومراسلات معهم، وقضى ثلاث سنوات في سوريا ولبنان ومصر، ووافق عودته إلى العراق سنة ١٣٣٢هـ نشوب الحرب العالمية الأولى فقضى سنيها في سوح الجهاد بصحبة السيد محمد - ولد أستاذه السيد اليزدي - ورجع إلى النجف الأشرف عند انتهائها، وفي سنة ١٣٣٨ هـ رجع في التقليد إلى المترجم له خلق كثير. وفي سنة ١٣٥٠ هـ انعقد المؤتمر الإسلامي العام في القدس الشريف، ودعي من قبل لجنة المؤتمر مرارا فأجاب الدعوة، وألقى في المؤتمر خطبة ارتجالية ظهر فيها فضله وعظمته، فقدمه العلماء وائتموا به في الصلاة، وفي عام ١٣٥٢ هـ زار إيران وبقي فيها حدود ثمانية أشهر داعيا الناس إلى التمسك بمبادئ الدين الحنيف، وفي سنة ١٣٧١ هـ حضر المؤتمر الإسلامي في كراچي.

وفاته:

أصيب الشيخ كاشف الغطاء (قدس) في أواخر سني عمره بمرض عجز آنذاك الأطباء عن إيجاد العلاج له، وخصوصا في عمره الذي تجاوز السبعين عاما، فانتقل إلى مدينة بغداد للمعالجة في مستشفى الكرخ الذي يشرف فيه على علاجه، وكبار المتخصصين، بيد أن أدنى تحسن لم يطرأ على حالته الصحية التي بدت وكأنها تسوء يوما بعد يوم.

وبعد إقامة قاربت من الشهر الواحد في تلك المستشفى، شد الشيخ رحاله للإستجمام في قرية كرندا الجبلية الواقعة في الأراضي الايرانية الحدودية، بين خانقين وكرمانشاه وكان (قدس) قد حل فيها مصطافا في صيف عام ١٣٦٦ هـ ولكن المنية عاجلته فيها، فتوفي بعد صلاة الفجر من يوم الاثنين الثامن عشر من شهر ذي القعدة عام ١٣٧٣هـ الموافق لليوم التاسع عشر من شهر تموز عام ١٩٥٤م، ولم يلبث الجثمان الطاهر للشيخ كاشف الغطاء أن حمل صوب الأرض العراقية عبر حدودها التي تقاطر عليها الكثير من الناس بشتى طبقاتهم، يتقدمهم العديد من كبار رجال الدولة آنذاك، فحمل جثمانه نحو مدينة بغداد، ومنها إلى مدينة الكاظمية المقدسة، فمدينة كربلاء، لينتهي به في مدينة النجف الأشرف، محطته الأخيرة في هذه الدنيا الفانية..

المبحث الثاني

الشيخ كاشف الغطاء ومواقفه الوطنية والإسلامية

لا نغالي بشئ إذا قلنا بأن حياة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء (قدس) كانت ميدانا خصبا للكثير من الأعمال، برزت من خلالها دقائق توجهاته، وحقائق معتقداته، فكانت فعلا وممارسة لا أطروحة وتنظيرا، ومن هذه الاعمال:

١. **الجهاد ضد الإستعمار البريطاني:** حين امتدت ذراع المستعمر البريطاني نحو الأراضي العراقية، بدعوى منازلة الدولة العثمانية، كانت مخيلة الساسة البريطانيين قد صورت لهم حتمية إصطفاف أبناء الفرات الاوسط معهم ، لإدراكهم (أي البريطانيون) عظيم المحنة التي ابتليوا بها، بيد أن تلك الحسابات كانت خاسرة، إذ خرج أبناء الفرات الاوسط لمحاربتهم، يتقدمهم علماؤهم الأبرار مع بقايا الجيش العثماني المهلهل المنهزم، لإدراكهم بوضوح ما يشكله الإستعمار البريطاني من مخاطر وخيمة لا تستهدف خيرات الشعوب المسلمة فحسب قدر ما يمثله من خطر جدي على عموم العقيدة الإسلامية المباركة بكل أبعادها.

وهكذا فقد بدأت قوافل العلماء المجاهدين بالتوجه إلى ساحات القتال، وكان الشيخ كاشف الغطاء واحدا من الذين ساهموا في حركة الجهاد ضد المستعمر البريطاني.

٢. **موقفه من مؤتمر بحمدون:** يحاول المستعمر دوماً خدمة أغراضه السياسية، وطموحاته غير الشرعية بشتى الوسائل، متستراً - وصولا إلى ذلك - بأشكال مختلفة من الشعارات والعناوين الجذابة، مستدرجاً من تنطلي عليه أكاذيبه، وصورة تلك الحال كانت واضحة في المؤتمر الذي دعت له جمعية أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية للانعقاد بتأريخ ٢٢ نيسان عام ١٩٥٤م في مدينة بحمدون بلبنان، وحينها تلقى الشيخ كاشف الغطاء دعوة رسمية موجهة من قبل كارلند ايفانز هوبنكز نائب رئيس تلك الجمعية لحضور هذا المؤتمر الذي ينحصر على حد زعمهم بعلماء المسلمين والمسيحيين، وأن تتحدد أعمال هذا المؤتمر بمناقشة ودراسة المواضيع التالية :

١. دراسة القيم الروحية للديانتين الإسلامية والمسيحية وتحديد موقف الديانتين من الأفكار الشيوعية الإلحادية.
٢. وضع البرامج الكفيلة بنقل القيم الروحية التي تؤمن بها الديانتين إلى الجيل الحديث، وكان غير خاف على أحد أن الغرض المتوخى من إقامة هذا المؤتمر - الذي كانت تروج له الإدارة الأمريكية آنذاك - هو تسخير المسلمين وعلمائهم كأتباع منفذين للسياسة الغربية التي هالها سريان الأفكار الشيوعية في أنحاء مختلفة من العالم، وقد كان ذلك قرارا صائبا موفقا لو انبعث من نوايا صادقة هدفها إسعاد البشرية، ورفع الحيف عنها.

وكان موقف الشيخ كاشف الغطاء (قدس) حادا وصريحا في رفضه لحضور هذا المؤتمر من خلال ما أرسله إلى المؤتمرين من جواب طويل أسماه (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون) والذي أوضح فيه بصراحة جلية رأيه في مواضيع هذا المؤتمر وبحوثه، مبينا ما توقعه السياسة الأمريكية وحليفتها الإنكليزية من ظلم وتجني على شعوب العالم المستضعفة المغلوبة، مع إشارته

الواضحة إلى بعد دعاة هذه السياسة عن القيم الروحية التي تدعو لها الأديان السماوية المختلفة، وإن من ينادي بتلك القيم يجب عليه أن يكون من أول العاملين بها، والمؤمنين بحقيقتها، وذلك ما لا ينطبق على الدعاة لعقد هذا المؤتمر، والراعين له.

٣. **موقفه من عبد الرزاق الحصان:**

كان ما أحدثه كتاب (العروبة في الميزان) لعبد الرزاق الحصان الذي نشر عام (١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٣م) من فتنة عظيمة عمدت إلى استدراج عوام الناس ودفعهم إلى إشاعة الفوضى والاضطراب في عموم المدن العراقية آنذاك، من خلال إثارة واستفزاز مشاعر عموم الشيعة هناك بسبب ما سطر في هذا الكتاب السقيم من تفاهات وترهات باطلة ترتكز على جملة افتراضات متهرئة منها الطعن بانتماء الشيعة في العراق، والذهاب إلى القول بأنهم أجانب عن هذا البلد ودخلاء فيه ينبغي التصدي لإقصائهم عنه، حين تراه يشيد بدور الأمويين الملطخة أياديهم بدماء المؤمنين.

إن هذا الموقف المستهجن والممجوج من قبل مسطر هذه الوريقات كان لا بد له من أن يثير شجون وأحاسيس عموم الشيعة الذين أتيح لهم قراءة هذا الكتاب، أو طرق سمعهم شئ من عباراته السقيمة هذه، فاعلنوا الإضراب العام في العديد من مدن العراق الكبرى كبغداد والحلة والديوانية والناصرية، وكان أشده في مدينة النجف الأشرف، لما لها من قدسية متميزة في قلوب المؤمنين في شتى أنحاء العالم، فتعطلت الأسواق، وساد الهيجان فيها، لا سيما وقد تسرب إليها العديد من القبائل الهائجة المحيطة بها.

بيد أن الأمور لم تجري على منوالها الطبيعي، حيث انضم في صفوف المعارضين لما جاء في هذا الكتاب العديد من ذوي المآرب الفاسدة والمنحرفة، من الذين امتطوا موجة الأحداث لإشاعة الفوضى والاضطراب، والتعدي على حرمات الناس وممتلكاتهم، فضج العقلاء من رجال الشيعة وعلمائهم بالصبغة الغريبة التي كانت تؤججها وتروج لها أيادي أجنبية ماكرة، يقابلها ضعف السلطة عن مواجهة هذه الظاهرة المحتدمة والمتفجرة، وكان آنذاك السيد جعفر حمندي حاكما إداريا في النجف، فحاول جاهدا الحد من تفاقم هذا الأمر دون جدوي، فاضطر به الحال أن يتصل بالعديد من كبار العلماء وفضلاء الحوزة وأعيان النجف الذين توجهوا نحو المرقد الطاهر للإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) في محاولة يائسة منهم لإنهاء هذا الاضطراب، وهذه الفوضى المستحدثة، إلا أنهم أخفقوا في تدارك هذه الأحداث الوخيمة، والحد من توسعها، ولم يجدوا من عموم الجماهير المضطربة آذانا صاغية، ونفوسا مستجيبة، فلم يجد الجميع بدا من التوجه إلى الشيخ كاشف الغطاء رحمه الله تعالى، لما يدركونه من عظيم منزلته

في قلوب الناس، بل وما يمتلكه من قدرة عجيبة في التحكم بمشاعرهم وأحاسيسهم.

ولم يكد زواره من رجال الحكومة، وفضلاء الحوزة، وأعيان المدينة، يحيطونه علماً بما وصلت إليه الامور من سوء في المدينة، وشدة تأزمها حتى نهض من فوره نحو المرقد المطهر للإمام علي(عليه السلام)، وكان ذلك وقت الزوال، فأشرف على الناس طالبا منهم حفظ الهدوء وترك الفوضى، مبرهنا على خطأ وفساد هذه التصرفات الضارة التي أخذت تصطبغ بها ظاهرة الاحتجاج هذه، وما يمكن أن تشكله من آثار سيئة مخالفة للموقف الواجب اتخاذه أمام هذه الإساءات المقصودة، وذكر المعاصرون الذين شاهدوا بأعينهم تفاصيل هذه الواقعة: بأن الشيخ كاشف الغطاء ما أن انفلت عن المنبر حتى عادت الحياة إلى مجراها الطبيعي، وأعيد فتح الأسواق، وأزيلت مظاهر الاضطراب والفوضى من عموم المدينة وما جاورها، وباءت تجارة المراهنين على تمزيق وحدة الأمة وبعثرتها.

٤. **موقفه من العادات المنحرفة:** لا تخلو جميع المجتمعات البشرية من وجود جملة متفاوتة من العادات الغريبة الشاذة والدخيلة التي يتشبث بها العوام ومعدومي الثقافة من أفراد تلك المجتمعات، والتي قد تتحول بمرور الأزمنة في أذهانهم إلى طقوس عبادية لا ينفك البعض منهم عن التعبد بها، والذب عن حماها، بما يمتلكه من قدرات وإمكانيات، وإذا كانت بعض تلك العادات لا تشكل بمجموعها أثرا سلبيا وضارا بتلك المجتمعات المذكورة، أو الإساءة إلى معتقداتها، والتوهين بها، فإنه لا غضاضة في غض النظر عن وجودها واستمرارية العمل بها، بيد أن الأمر إذا تحول في حقيقته إلى ممارسات شاذة وسلبية، وكثيرة الضرر بتلك المجتمعات وعقائدها، فإن في التسامح عنها جفاء للعقل والمنطق والفطرة، واستسلاما مردودا قبال استشراء الجهل والتخلف.

ومن هذه العادات السيئة والشاذة التي تفتقت عنها أذهان الجهلة، وروجت لها العقول والنفوس الفاسدة، وزمر لها أعداء الشيعة، ونسبوها ظلما إليها، ما اعتاد بعض العوام على فعله آنذاك، وبالتحديد في الأيام العشرة الأولى من شهر ربيع الأول من القيام بالكثير من التصرفات المنكرة المؤذية للناس، والمشينة للدين، وكان الكثيرون من علماء الدين المخالفين والمعارضين لهذا المنهج المنحرف في أثناء إقامة تلك الإحتفالات والمناسبات المختلفة يتحاشون التصدي لمنع أولئك الجهلة، فانبرى الشيخ كاشف الغطاء بشجاعة لمنع تكرر إيقاعها رغم تحذير الكثيرين له من مغبة التصدي لها وتحريم الإتيان بها، وإيضاح ضررها على التشيع، وتوهينها بالمذهب بشكل صريح سافر يتصيده أعداؤهم ومبغضيهم، فوفقه الله تعالى في مسعاه أيما توفيق، وانقاد الجميع لإرادته في قبر الكثير من تلك العادات السيئة.

٥. **لقاؤه مع أحمد أمين:** لعل من المحن الكبرى التي ابتليت بها الشيعة وطوال حقب مترادفة من القرون ما انفكت تواجهه وتنبز به من تهم وتقولات بعيدة عن الصحة، ومتغربة عن أرض الواقع، اعتمادا من قبل متقوليها على آراء جاهزة، أو فهم سطحي لا يعتد به، أو غير ذلك من الأسباب والحجج التي لا تبرئ قائليها من تصنيفهم في خانة العالمين على تمزيق هذه الأمة وبعثرة صفوفها، وبأساليب ومناهج مختلفة، باطلة الدعوى، سقيمة الحجة، وذاك ما لا يخفى على الباحثين والمتتبعين، وهذه كتب الشيعة لا يعسر على أحد مطالعتها وادارك حقيقة ما ذكرناه.

كان الدكتور أحمد أمين رغم مكانته العلمية التي عرف بها قد تعرض وبشكل سافر غريب طعنا وإساءة لعموم الشيعة وعقائدهم دون دليل علمي يرتكز عليه، أو حجة واقعية يستند إليها، وصادف ان الدكتور احمد أمين قد شد الرحال نحو مدينة النجف الأشرف مع البعثة المصرية المؤلفة من بعض الأساتذة والباحثين، حيث ألقوا رحالهم فيها ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك عام (١٣٤٩ هـ) واطلعوا عن كثب على المناهج العلمية الرصينة التي تدرس في حوزتها، والمكانة الرائعة والمهيبة لعلمائها وأساتذتها، واستقراء الكثير من آراء الشيعة ومعتقداتهم، بعد أن أمضوا ردحا من الزمن وهم يتلقونها عن الوسطاء والغرباء، من المستشرقين والمخالفين للشيعة، ويسلموا بصحتها دون مراجعة أو تفحص لنص من نصوصهم أو كتاب من كتبهم.

ومن ثم فإن تلك البعثة كان لا بد لها من أن تتشرف بلقاء الإمام كاشف الغطاء، وزيارة مدرسته العلمية، ومكتبته الفخمة، فكان لذلك عظيم الأثر في نفوسهم، وحيث بوغتوا بما لم يتوقعوه، فقد كان لقاء الدكتور أحمد أمين بالإمام كاشف الغطاء(قدس) ملئ بالجوانب العلمية الصريحة التي أفاضها في حديثه، والتي دلت على عظم مكانته العلمية، وقوة استحضاره، وذكائه المفرط ، وقد أوردت مجلة العرفان في مجلدها الحادي والعشرين، وفي الصفحة الثامنة بعد الثلاثمائة من جزئها الثالث منه جانبا من تلك المحاورة العلمية، فبعد ترحيبه بالوفد المصري خاطب الدكتور أحمد أمين قائلاً: من العسير أن يلم بأحوال النجف وأوضاعها وهي تلك المدينة العلمية المهمة شخص لا يلبث فيها أكثر من سواد ليلة واحدة، فإني قد دخلت مصركم قبل عشرين سنة، ومكثت فيها مدة ثلاثة أشهر متجولا في بلدانها، باحثا ومنقبا، ثم فارقتها وأنا لا أعرف من أوضاعها شيئا، اللهم إلا قليل، فكيف كتبتم عن النجف والتشيع ما كتبتم وانتم لم تواكبوه عن قرب.

فأجاب أحمد أمين: ولكنه ذنب الشيعة أنفسهم، إذ لم يتصدوا إلى نشر حقيقة مذهبهم في الكتب والصحف ليطلع العالم عليه! فقال الشيخ: هذا كسابقه، فإن كتب الشيعة مطبوعة ومبذولة أكثر من كتب أي مذهب آخر، وبينها ما هو مطبوع في

مصر، وما هو مطبوع في سوريا، عدا ما هو مطبوع في الهند، وفارس، والعراق، وغيرها، هذا فضلا عما يلزم للمؤرخ من طلب الأشياء من مصادرها.

فقال أحمد أمين: حسنا، سنجهد في أن نتدارك ما فاتنا من ذلك مستقبلاً.

٦. **موقفه من المؤتمر الإسلامي العالمي في القدس:** لقد كان ما اتسم به الشيخ كاشف الغطاء (قدس) من دور متميز بارز في الذود عن حياض الإسلام، والدفاع عن حريمه، سمة مشخصة لدى علماء المسلمين وزعمائهم، فشخصت نحوه أبصار الجميع، مع اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، ومن هنا فما أن تجسدت فكرة عقد مؤتمر إسلامي عام في مدينة القدس الشريفة على أرض الواقع، حتى بادرت لجنة المؤتمر إلى توجيه دعوة ملحة للشيخ (قدس) للمشاركة في هذا المؤتمر الهام الذي تقرر أن تعقد جلساته الموزعة على أيامه العشرة ابتداء من ليلة المعراج في ٢٧ رجب عام ١٣٥٠ هـ (٧ كانون الأول ١٩٣٢ م) وأن يكون هدف هذا اللقاء كما ذكر ذلك الحاج أمين الحسيني لصحيفة السياسة القاهرية آنذاك هو: البحث في نشر أساليب التعاون الإسلامي، ونشر الثقافة الإسلامية، والدفاع عن البقاع المشرفة الإسلامية، والعمل لوقاية الدين الإسلامي وصيانة عقائده من شوائب الإلحاد، وتأسيس جامعة إسلامية في بيت المقدس، والنظر في قضية الخط الحديدي الحجازي.

وكان من الطبيعي أن يستجيب الشيخ لهذه الدعوة الملحة، رغم إيمانه بأن ترجمة آمال المسلمين تكمن في صدق النوايا المقترنة بالأعمال الجادة العاملة على توحيد صفوفهم، ونبذ خلافاتهم، وتشخيص علة تفرقهم لمعالجتها.

استجاب الشيخ كاشف الغطاء (قدس) لطلب مشاركته في ذلك المؤتمر، فشد الرحال نحو مدينة القدس الشريفة ـ التي كانت ولا زالت تحتل في ضمائر وقلوب المسلمين الكثير من الحب والتقديس في ليلة الأول من شهر رجب، حيث استقبل من قبل جميع العلماء المشاركين في ذلك المؤتمر، يتقدمهم مفتي القدس الشيخ الحسيني، وكذا أعيان ووجهاء فلسطين آنذاك، وقد ألقى الشيخ كلمة مؤثرة في المؤتمر سحرت المستمعين بحلاوة ألفاظها وسلاسة عباراتها وجزالة كلماتها، ثم أمَّ المؤتمرين بصلاة العشاء بعد تلك الخطبة.

٧. **موقفه من نوادي التبشير:** إن استقراء ودراسة الدور الذي لعبته وتلعبه نوادي التبشير المبثوثة في نقاط مختلفة من الأراضي الإسلامية يبين بوضوح البعد التخريبي الذي تلجأ إليه هذه النوادي في سعيها المحموم من أجل نشر وترويج أفكارها وعقائدها المنحرفة والمردودة.

ولعل الثابت المتفق عليه إن انشاء تلك النوادي جاء متوافقاً مع الغزو الإستعماري الذي تقوم به الجيوش الأجنبية ـ المنتسبة لها تلك النوادي لتلك الدول

المبتلاة بها، من خلال انتهازها لظروف التخلف والفقر القاهرة، والتي نجدها عيانا في كثير من الدول الآسيوية والإفريقية النامية.

واعتمادا على صحة هذا التصور، فقد كانت العديد من الدول العربية المسلمة - أبان خضوعها للإحتلال الأوربي المقيت أرضا مشرعة الأبواب أمام تلك النوادي التي ألقت فيها رحالها واستقرت فيها.

وكان الشيخ كاشف الغطاء (قدس) كان واحدا من الأعلام الذين تنبهوا لمدى انحراف دعوات مروجي تلك الأفكار، وخطرها على المجتمعات الاسلامية، ولما كانت مصر تلك الدولة المسلمة التي تحتل في قلوب المسلمين مكانة متميزة مرتعا خصبا لتلك النوادي أبان تلك الحقبة السالفة، فاستغل الشيخ كاشف الغطاء تواجده في هذا البلد ليتعرض بالرد، وتفنيد دعاوى خطباء تلك النوادي، ولقد كان يروى عنه (قدس) أنه كان ينحدر صوب أكبر تلك النوادي بجرأة وشجاعة ويتصدى لمقاطعة الخطيب الذي لا ينفك عن الكذب والافتراء والطعن بعقائد المسلمين دون دليل أو حجة.

موقفه من التقريب:

يقول الشيخ معرفا بجماعة التقريب: انها تريد أن تقرب بين الطوائف الإسلامية وتبعثهم وتحثهم على الأخوة والوحدة التي أمرهم بها الله في كتابه العزيز ولكن يلزمهم ويلزمنا تمهيدا لهذه الغاية الشريفة أن ينصحوا لإخوانهم من الكتاب وحملة الأقلام ألا يتحرشوا ويطعنوا بإخوانهم الإمامية.

فما يكاد يأتي عام إلا ونسمع أو نرى كتابا أو رسالة ترمي الشيعة بالفظائع وتهجم عليهم بالمطاعن، وبحكم الضرورة يلتجئ الشيعة إلى الدفاع عن أنفسهم فتثور الأحقاد وتستمر الحفائظ وتكون أكبر خدمة للأعداء والمستعمرين.

كما أن اللازم على كل فرقة من المسلمين من الشيعة وغيرهم أن يوصدوا باب المجادلات المذهبية وما يثير الحفائظ والعصبية فإنها إن لم تكن محرمة بنفسها ومضرة بذاتها فهي من أعظم المحرمات في هذه الظروف التي أحاط بنا فيها الأعداء أعداء الإسلام من كل جانب ومكان حتى من المسلمين ومدعي الإسلام العدو الداخلي الذي يكون ضرره أعظم من العدو الخارجي فهل في هذه كفاية وبلاغ أيها المسلمون..

وقد استمرت جماعة التقريب تعمل في مصر حتى أواخر السبعينات تمكنت من خلال هذه الفترة من استقطاب الكثير من الرموز الإسلامية البارزة فيها، وكانت فترة السبعينات فترة ساخنة فكريا ولم تكن الساحة متسامحة فكريا وعقائديا في مواجهة أية دعوة تتصل من بعيد أو قريب بالشيعة، إذ كانت قد برزت على الساحة التيارات الإسلامية المتشددة وفي مقدمتها التيار السلفي وتيار التكفير وبرز الدور السعودي الوهابي الذي تمكن من اختراق هذه التيارات ودفع بها إلى تحريض العلماء

وإصدار البيانات التي تندد بجماعة التقريب وتشكك في الغايات التي يسعون من أجل تحقيقها.

ولعله لم يعد خافيا على أحد أن سر محنة، هذه الأمة، ومصدر كل بلائها يكمن في تكريس حالة التشتت والتمزق التي تفرض عليها من قبل المراهنين على جراحها وآلامها، والتي تطفح في أحيان عديدة على جسدها أوراما تنزف دما وقيحا تقشعر له جلود المخلصين من هذه الأمة ومحبيها.

إن إدراك حقيقة هذا الأمر هو ما يستحث بالمخلصين من علماء ومفكري هذه الأمة السعي الجاد لرأب ذلك الصدع، ولم ذلك الشتات، رغم صعوبة المخاض، وعسر الخطب، كنتيجة منطقية لتقادم السنين، وترسب العديد من الاعتقادات النفسية السلبية، والبعيدة كل البعد عن أرض الواقع، وحقيقة العقائد التي تحاول الانتساب إليها. ولقد شهدت الشعوب الاسلامية وطوال حقب مترادفة نماذج صادقة من تلك الجهود والنوايا الصادقة، التي تشكل أمنية عظيمة سامية تتعلق بها قلوب جميع المخلصين من رجال الأمة، لعلماء ومفكرين وباحثين أنفقوا شطرا كبيرا من حياتهم سعيا وجهدا دائبين في هذا الميدان المقدس والعظيم، وكان الشيخ كاشف الغطاء(قدس) برحمته الواسعة كان من كبار رواد هذا الميدان المبارك من خلال سعيه الدؤوب المتواصل في التقريب بين المذاهب الاسلامية، من خلال مؤلفاته، وخطبه، ومذكراته، مواقفه المتكررة الموشية بحالة القلق والتوجس المرير الذي ينتابه من استمرار حالة الأمة على ما هي عليه من الاختلاف والتنافر والتقاطع رغم شدة التقارب ووضوحه بين مذاهبها.

بيد أن البعض وذلك غير خاف على أحد لم يكن تروقه تلك الدعوات الصادقة الصادرة من القلب، والمرتكزة على قواعد الإسلام الحنيف، حيث كان يعمل بمعاول الهدم في ذلك البنيان المقدس، وباسم الدفاع عن الإسلام! والذود عن حريمه! وما ذلك إلا عين النفاق ومرآة الانحراف،ولعل من يتأمل مثلا صفحات كتاب الجبهان الموسوم بـ(تبديد الظلام) يجد عين هذه الحقيقة ماثلة للعيان، بل ولا بد له أن ينتابه الذهول وهو ينتقل بين أسطره وصفحاته التي سودها بالكثير من العبارات المليئة بالسباب والفحش من القول، ومن الذي قد يتنزه بعض السوقة عن التلفظ به أمام جمع من الناس، ناهيك عن كتاب يدعو فيه صاحبه ظلما وبهتانا إلى حماية الدين والذود عن حرماته.

ولعل الفصل الخاص الذي أفرده الجبهان لمناقشة كتاب أصل الشية وأصولها للشيخ كاشف الغطاء، كان من السقم والتلاعب بالالفاظ حداً لا يعسر على أي طالب مبتدئ في العلوم الحوزوية ان يتصدى لمناقشته وتفنيد دعاواه،

وللحقيقة نقول: إن دراسة دور الشيخ كاشف الغطاء في عملية التقريب بين المذاهب الإسلامية تستلزم الكثير من الاستقراء العلمي الرصين والمتأني لجملة مؤلفاته، وكلماته، وخطبه، ورحلاته، وغير ذلك، وذلك ما لا يسعنا خوض غماره في

هذه العجالة، ومن خلال هذا المدى فالتأريخ المعاصر قد سجل لنا الكثير من الإشارات ذات الدلالات الواضحة في سعيه نحو التقريب، والتي تتطلب من العاملين في هذا الميدان المقدس دراستها بشكل علمي رصين.

ولعل من المواقف الملفتة للنظر في هذا المنحى العظيم ما لجأ إليه الشيخ كاشف الغطاء(قدس) أثناء إحدى سفراته التي ألقى فيها رحاله في أرض مصر المسلمة، حيث واظب على حضور مجلس درس شيخ الجامع الأزهر آنذاك وهو الشيخ سليم البشري (قدس) لمدة ثلاثة أشهر، وكذا مفتي الحقانية الشيخ محمد بخيت المطيعي، الذي يقول عنه سماحته: لم أجد في مصر عالما محققا مثله، يباحث أصول الفقه عصرا في جامع رأس سيدنا الحسين(عليه السلام)، والتفسير بين المغرب والعشاء في الأزهر، وله مؤلفات كثيرة طبع أكثرها.

وفي الجانب الآخر فقد كان الشيخ يرى وهو يباحث للكثير من طلبة الأزهر وغيرهم في الفقه الشيعي مرة، وفي الفصاحة والبلاغة مرة أخرى، بشكل استقطب أنظار الجميع، وحاز على إعجابهم واحترامهم.

موقفه من المرجعية :

لقد استطاع الشيخ كاشف الغطاء بما عرف عنه من تضلع مشهود بعلوم الفقه والأصول، والحكمة والفلسفة، والإلهيات وغيرها أن يلقي بظلاله على أطناب الحوزة العلمية العامرة في مدينة النجف الأشرف آنذاك، رغم وجود العديد من الأساتذة الكبار والعلماء الفضلاء أمثال أستاذه اليزدي (قدس) وغيره.

وذكر أنه أنجز وفي حياة أستاذه اليزدي شرحه على كتاب العروة الوثقى الذي كان يحاضر به مع تلامذته في دروسه المختلفة التي كان يلقيها تارة في المسجد الهندي، وأخرى في جانب الباب الطوسي أو مقبرة الإمام الشيرازي (قدس) بجوار ضريح الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام).

ولقد شهد له معاصروه من العلماء الكبار، وتلامذته الذين صاحبوه في تلك الحقبة السالفة من حياته المباركة بأنه كان فقيها بارعا، قوي الحجة والبرهان، بل ومجتهدا في مبانيه، حرا في آرائه ونظرياته، حيث كان كثيرا ما ينتزع العديد من الفروع التي تعسر على البعض لما امتاز به من ذوق عربي سليم يؤهله لفهم وادارك حقيقة النصوص المعتمدة في بناء جملة واسعة من الأحكام، روي عنه إتيانه ببعض المسائل الفقهية النادرة التي ليس لها عنوان محدد في الكتب الفقهية الاستدلالية، فأفنى بها مع تقديمه الحجة والدليل عليها، تاركا للآخرين مسألة المذاكرة حول ذلك الأمر وأبعاده.

إن امتلاك هذه القدرات الواسعة في جملة تلك العلوم قد مهدت السبيل أمام شيخنا المترجم للتربع على عرش المرجعية العامة للشيعة، والتي تعد بحق شرفا

عظيما، ومنزلة رفيعة، لا ينالها إلا القلة من ذوي الجد والاجتهاد، والتقوى والإيمان. ففي عام (١٣٣٧هـ) وبعد وفاة السيد اليزدي (قدس) والذي كان يعد مرجعا كبيرا من مراجع التقليد اتجهت الأبصار نحو الشيخ كاشف الغطاء، فتوافد على درسه الفضلاء والعلماء، وتطلعوا عن كثب مدى ما ينسب إليه من كبير الفضل، وعظيم المنزلة، فأقر الجميع بعلميته، وثنيت له الوسادة، وشاع في الأصقاع ما عليه من تلك السمات المؤهلة لتسنم المرجعية، فتعاظم عدد مقلديه في أنحاء العالم المختلفة، مما دفعه ذلك بعد نشره لرسائله العملية إلى إعادة طبعها مرارا وتكرارا، لزيادة الطلب عليها، وهكذا فقد توطدت مرجعية الشيخ كاشف الغطاء، وكان ذاك إيذانا لتحمله عبء أعظم المسؤوليات المناطة بمراجع الأمة، لا سيما وقد كان العالم الاسلامي أبان تلك الحقبة يشهد جملة واسعة من التغيرات والتطورات والإنتكاسات التي تستلزم معالجة واقعية حاسمة، ومواقفا شجاعة ثابتة لدرء حالات النكوص والانهزام والتبعثر التي أصبحت سمة غالبة مشخصة لواقع المجتمع الاسلامي آنذاك.

موقفه من الوهابية :

قال العلامة كاشف الغطاء: الإسلام محمدي النشأة، حسيني البقاء، فلم يعد ثمة شك لمستريب أن ما جهدت في ترويجه والدعوة إليه ـ ولسنين طويلة ـ حملة ومروجو الفكر الوهابي بل وما استفرغوا فيه الطاقة والمال، والعبارات المزوقة الجوفاء قد أتت عليه الحقائق الثابتة والدلائل القاطعة المرتكزة والمتجذرة في عمق العقيدة الإسلامية المباركة، فعرته من كل دعاواه، وجردته من كل مدعياته، وبات ذلك الهاجس الذي شكل في يوم من الأيام ـ إبان فورة الاندفاع الأولي المتجلبب برداء التقوى والورع، والذب عن الدين الحنيف، وتشذيبه من كل ما علق به من غيره ـ هاجسا أرق بعض الأجفان الساذجة، مجرد حكاية سمجة، وشبهات باهتة، لا يعسر علي مبتدئ في العلوم الدينية ردها ودحضها بالأدلة المرتكزة على القرآن الكريم والسنة المطهرة والآثار الثابتة في كتب الفرق الإسلامية المختلفة.

ولعل من شبهاتهم التي أقاموا من أجلها الدنيا ولم يقعدوها ما ابتدعوه من القول بحرمة البناء على القبور وزيارتها، وما يتصل بها، وحيث أفتوا في ذلك بما خالفوا فيه إجماع المسلمين، وما عرف من سيرتهم القطعية بذلك في عموم البلاد الإسلامية دون استثناء، وحيث تصدى لإبطال تقولاتهم هذه ـ التي ادعوا فيها استنادها إلى الإجماع تارة، وإلى الحديث تارة أخرى، وإلى الإجماع المستند إلى الحديث ثالثة ـ جملة واسعة من علماء المسلمين، ومن مختلف المذاهب الاسلامية.

ومن هؤلاء الأعلام كان الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، الذي قال: منذ أن روى الإسلام رمال الجزيرة بدماء الأبرار، فاخضرت أزهاره ونشر أريجه وطمح أن يزيح كابوس الظلام والظلم عن صدر العالم، كانت جحافل الشر والكفر والنفاق

تحاول قلع ما يغرسه الإسلام، وتقف سدا أمام مد النور الساطع، لأنه إن انتشر ماتت، وما برحت تكيد الدسائس لمحو الإسلام، وإلا فلتحجيمه على أضعف الآمال.

وهكذا فقد تصدي الكثير من العلماء الأبرار للرد على هذه الفرقة الضالة وبدعها، وألفت في ذلك المؤلفات مثل: كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، فتنة الوهابية، هكذا رأيت الوهابيين، وغيرها، ومن جملة من ألف الشيخ كاشف الغطاء إذ كتب رسالته الموسومة بـ(نقض فتاوى الوهابية).

موقفه من مسألة الدين والسياسة:

إن الدين شئ، والسياسة شئ آخر، لو أريد من السياسة الغدر والنفاق، والكذب والخداع، والمراوغة، وأما لو أريد منها إقامة الحق، وبسط العدل، ومساندة الضعيف والمحروم فإنها من صميم الشريعة الإسلامية، وهل جاء الإسلام إلا ليحقق ذلك، ويبسط معالم الخير والرفاهية بين الأمم والشعوب.

وفي هذا المجال يقول الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في الجواب عن تدخله في السياسة مع أنه من أعلام الدين، وذلك يتنافى مع مركزه الديني بحسب زعمهم: أما التدخل بالسياسة فإن كان المعنى بها هو الوعظ والإرشاد، والنهي عن الفساد، والنصيحة للحاكمين بل لعامة العباد، والتحذير من الوقوع في حبائل الاستعمار والاستعباد، ووضع القيود والأغلال على البلاد وأبناء البلاد. إن كانت السياسة هي هذه الأمور فأنا "وأعوذ بالله من قولي أنا إلا في هذا المقام".

نعم أنا غارق فيها إلى هامتي، وهي من واجباتي وأراني مسؤولا عنها أمام الله والوجدان وهي من وظائفي وأضاف يقول: وهي النيابة العامة، والزعامة الكبرى، والخلافة الإلهية العظمى ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾، فسياستنا هي سياسة النبي والأئمة سلام الله عليه وعليهم الخالية عن كل هوى، وهوس، وطمع ودنس ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.

وإذا كان المعني بالسياسة هو إحداث الفتن والثورات، والإضرابات، والاضطرابات للتوصل إلى الحكم، والجلوس على الكراسي الناعمة لمعاملة الناس بالخشونة والغطرسة والكبرياء، واستغلال النفوذ للمنافع الذاتية، والأطماع الدنية، والسمسرة للأجانب وتسلطهم على الأمة ولو بإراقة الدماء إن كانت السياسة هذه وما إليه فإني أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوي الرجيم ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ

مَّثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

إن السياسة التي تبناها الإسلام هي السياسة السمحة الخيرة التي تقيم الحق وتقاوم الظلم وتنشر المحبة بين الناس ولم يقر الإسلام السياسة الجائرة التي لا تؤمن بالقيم العليا ولا بالمثل الرفيعة فإن هذه السياسة ـ كما سنوضح ذلك في غضون هذا الكتاب ـ لا تلتقي مع الأهداف الأصيلة التي ينشدها الإسلام وقد حرمها وحرم التعاون مع رجالها في جميع المجالات.

هوامش البحث ومصادره:

- القرآن الكريم

(١) مفلح بن راشد : إلزام النواصب.
(٢) الشيخ المفيد : أوائل المقالات.
(٣) الشيخ الطبرسي : الاحتجاج.
(٤) أعلام الزركلي (٣ : ٣٥٢): عبد الرزاق بن رشيد بن حميد الحصان ، البغدادي الكرخي ، مؤرخ للقومية العربية ، أثار بعض كتبه نقدا شديدا في بغداد . من كتبه العروبة في الميزان ، قامت بسببه تظاهرات احتجاج ، وسجن مؤلفه أربعة أشهر . رحل إلى الكويت والى السعودية ، وتوفي غريبا في فندق بالكويت
(٥) الشيخ كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها.
(٦) صالح الورداني: الشيعة في مصر.
(٧) الحاج حسين الشاكري :الكشكول المبوب.
(٨) الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: نقض فتاوي الوهابية.
(٩) باقر شريف القرشي: النظام السياسي في الاسلام.
(١٠) محمد التيجاني : الشيعة هم أهل السنة.